دعوة للحوار

د. آمال جبر الله سيد احمد

أتوجه بهذه الدعوة لكل المهتمات والمهتمين بقضايا الفكر والصراع الاجتماعي والمجتمع المدني في السودان وأخص من هم أكثر اهتماما بقضايا النساء. أتطلع لحوار يتسم بالوضوح والموضوعية وممارسة الديمقراطية واحترام الرأي الآخر. القضايا المطروحة للحوار ليست جديدة وظلت محل اهتمام الكثير منا لوقت طويل، ولكن البيان الذي صدر باسم الاتحاد النسائي السوداني – بدون تاريخ – وجرى توزيعه بلندن يوم ٦ أبريل ٢٠٠٢ احتفالا بالذكرى الخمسين للاتحاد النسائي، أكد لي أن الحوار لابد أن يكون واسعا وعالي الصوت ومتاحا لكل من يود أن يساهم فيه.

صدر هذا البيان بعنوان: "**ما هو الفرق بين الاتحاد النسائي والحركة الأنثوية ؟**" و المعني بالأنثوية هنا هو الفيمينيزم أو النسوية. وفي مستهل البيان ذُكر أنه صدر بغرض التصدي لأمرين، أولهما هو الهجوم على الاتحاد النسائي، غير أن البيان لم يعرض ماهية هذا الهجوم ولا الرد عليه. اما الأمر الثاني، فهو التخوف، كما قال البيان، من إنسياق الكثير من السودانيات والسودانيين نحو الفيمينيزم (النسوية) والتي تصورها كاتبة البيان بأنها تشبُّه بالرجال في الزي وحلاقة الشعر والمشي والتدخين واحتساء الخمر والشذوذ الجنسي!!!

الجدير بالملاحظة أن البيان قد حاول إجراء تقابل تعسفي وغير منطقي بين الاتحاد النسائي كتنظيم وبين الفيمينيزم (النسوية) كإطار فكري ونظري لرؤية العالم لدي النساء، بمعني أن:
Feminism is a perspective, knowledge and theoretical framework and not organisation.
البيان أثار الكثير من القضايا والأفكار التي تهم قطاعات واسعة من النساء، وهي أفكار ظلت محل صراع لوقت طويل وستظل كذلك، إذ تجلي هذا الصراع بصورة واضحة داخل الاتحاد النسائي بعد ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ واتخذ أشكالا عديدة ومتباينة، معلنة وخفية. كما إن البيان كشف الكثير من الاضطراب الفكري والخلط الواضح في بعض المفاهيم والأطروحات والمواقف مثل الخلط بين النسوية (feminism) و الرأسمالية (Capitalism) وبين المثلية الجنسية (homosexuality) والشذوذ الجنسي (sexual perversion)، علاوة على الخلط بين النوع (gender) والجنس (sex)، كما تواصل الخلط في البيان ليشمل مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني حتى وصل للخلط بين الاتحاد النسائي كتنظيم والسيدة فاطمة أحمد إبراهيم كفرد أو كرئيسة لهذا التنظيم. ورغم هذا الاضطراب والخلط فإنني أرى من خلال كل ذلك قضايا تستحق النظر بكل موضوعية ودقة.

وأنني لأتساءل، هذا البيان والذي صدر باسم الاتحاد النسائي هل يعبر بالفعل عن روح وبرنامج الاتحاد النسائي الذي حمل راية تحرير المرأة في السودان منذ عام ١٩٥٢؟. ثم، هل يعكس شكلا ومضمونا رأي قيادة وقاعدة الاتحاد النسائي في الذكرى الخمسين لتأسيسه؟، وهل هذه هي القضايا المقدمة من الاتحاد للنساء في السودان في عام ٢٠٠٢؟ وفي ظل الوضع الراهن؟ البيان نفسه يؤكد أنه صادر من السيدة فاطمة أحمد إبراهيم كفرد، إذ تحدثت عن نفسها في أكثر من سطر عندما ذكرت، على سبيل المثال، إنها كانت في جامعة كاليفورنيا – راجع الفقرة الأخيرة في البيان – بالإضافة إلى أن هذه هي ذات الأفكار التي تروج لها في أي فرصة تتاح لها. لو اتفق لهذا البيان لأن يصدر باسم السيدة فاطمة أحمد إبراهيم وبذات القضايا المثيرة للجدل، لكان النظر إليه جد مختلف ولا يخرج عن دائرة الأخذ والرد العادي ولكن صدوره باسم الاتحاد النسائي السوداني يجعل من معايير النظر أمرا مختلفا.

ومن المفارقات أن البيان يتباهي بنيل الاتحاد النسائي السوداني لجائزة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان لعام ١٩٩٢، في حين أنه – البيان – يصادر الحقوق الأساسية التي نصت عليها مواثيق الأمم المتحدة مثل حق التعبير والاختلاف وحق المرأة في إدارة شئون ذاتها – راجع A Article 19 من هذه المواثيق.

أود أن أشير إلى أن نص البيان المشار إليه مرسل في الجزء الثاني (Dialogue, part ٢) كما أود أن أقترح أيضا بعض المحاور لهذا الحوار، وبالطبع فأنني لا أعني بأية حال أن يقتصر عليها.

- الموقف من المعرفة والعلم وتجارب الآخرين، وفي إطار ذلك تأتى الموقف من الفيمينيزم (النسوية) بمدارسها المختلفة، والإلمام الصحيح بتاريخ ودور الحركات النسوية في الغرب (أوروبا وأمريكا) وكذلك في دول العالم الثالث وتحديدا في القارة الأفريقية، والى أي مدي يهمنا معرفة كل ذلك.
- البحث والتوثيق للحركة النسائية في السودان خاصة المنظمة والحديثة ومن بينها الاتحاد النسائي، تلك الحركة التي أسهمت فيها أجيال عديدة تستحق بالفعل عناية وجهدا اكبر من كل المهتمين والمهتمات بمختلف تخصصاتهم ومواقفهم خصوصا وان أغلب المؤسّسِات والمساهِمات اللائى شكلن هذه الحركة لا زلن يسهمن بقدر أو آخر سواء في العمل العام أو النسائي مما يجعل من مساهمتهن ضرورة في الجوانب المتعلقة بالتسجيل والتأريخ لها فضلا عن معرفة رؤيتهن لمستقبلها.
- جزء من هذا التاريخ يمثل الصراع الذي برز داخل الاتحاد النسائي بعد ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤، فما هي جذوره وتجلياته وانعكاساته على العمل النسائي؟ أن محاولات تصوير هذا الصراع بأنه "صراع مهجري"، أي انه محدود وبدأ مؤخرا في خارج السودان، وعلى وجه التحديد في لندن بعد هجرة أعداد من السودانيات وتشبهن بالغرب!!. هذه في واقع الأمر محاولة للهرب من الأسئلة الأساسية وعجز عن رؤية القضايا الحيوية التي ينبغي التصدي لها كونها قضايا فكرية وعملية داخل السودان باعتباره المعضلات التي تواجه الحركة النسائية عامة والاتحاد النسائي خاصة في ظل تناقضات الواقع الجديد. وهذا لا يعني بالضرورة إغفال القضايا التي تواجه الالاف من النساء في بلدان المهجر.
- صورة الحركة النسائية السودانية اليوم مختلفة عنها في حقبة الخمسينات أو الستينات أو حتى الثمانينات، فهي لم تعد الحركة ذات الطابع السياسي العام التي تعبر عنها تنظيمات بعينها، إذ باتت في الواقع حركة واسعة ومتنوعة ومتجددة ، إذ دخلت أجيال جديدة من النساء داخل السودان وخارجه في إطار الوعي النسائي من واقع ومنطلقات مختلفة، خاصة وان بعض الأجيال مرتبط اكثر بمجالات البحث العلمي والاجتماعي وبالحركة النسائية في مختلف أنحاء العالم، فهناك أهمية قصوي للإقرار بهذا الواقع والمتغيرات والحقائق والنظر إليها بأبعاد مختلفة.
- هذه الدعوة واحدة من بين العديد من المجهودات في محاولة لرؤية المتغيرات والتحديات التي تواجه الحركة النسائية في السودان في ظل الواقع المتجدد باستمرار سعيا للنهوض بالعمل النسائي من أجل هزيمة كل ما هو معاد لتقدم المرأة وتحررها حتى لو كان من داخل الحركة النسائية نفسها.

وأخيرا لا تخفى أهمية إشراك اكبر عدد من النساء في السودان وكل من يعنيه بناء ونمو وإثراء الحركة النسائية في هذا الحوار، وإذا وضعنا في الاعتبار محدودية وسائل الاتصال وعدم توفر وسيلة الانترنت للأغلبية داخل السودان، فإنني اقترح أن تخرج كل مساهمات ومداخلات هذا الحوار في كتاب سعيا لسد هذا النقص وتوفير المادة للقراءة ووصولها إلى اكبر عدد.

د. آمال جبر الله سيد احمد

ما هو الفرق
بين الاتحاد النسائي وحركة الأنثويّة؟

لقد دفعنا للتعرُض لهذا الموضوع، أمران كان لا بدّ من حسمهما حتىّتتضح الصورة أمام السودانيين نساء ورجالاًالأمر الأول هو الهجوم المركز ضد الاتحاد النسائي وقياداته بأنه رجعي ومحافظ. والأمر الثاني هو عدم الإلمام لدى الكثيرات والكثيرين بالفرق بين الحركة النسائية وعلى رأسها الاتحاد النسائي السوداني وحركة الفيمنزم، أى الحركة الأنثويَة التى. تعتنقها وتروج لها بعض السودانيات والسودانيين. ولكن قبل أن أبدأ في شرح كل منهما أود أن أذكر أن الاتحاد النسائي السوداني قد حقق للمرأة السودانية من الحقوق، ما لم تحققه النساء في كل بلدان الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة . حقق لها حق التصويت والترشيح، وأدخل أول امرأة في البرلمان، لا في السودان وحسب، وإنما في الشرق الأوسط وإفريقيا. حقق لها المساواة في الأجور وفى كل شروط العمل ، حقق لها الدخول في كل مجالات العمل، بما فيها القضاء والقضاء الشرعي، والسلك الدبلوماسي، والقوات المسلحة والشرطة. وقد كان من قبل عملها محصورا فقط في مجال التعليم والتمريض. وحقق لها تعديلات إيجابية كثيرة في قوانين الأسرة. ولكل هذه الإنجازات التي لم تتحقق في أي بقعة من العالم، فقد منحته الأمم المتحدة جائزة حقوق الإنسان في عام 1993 . وبهذا أصبح أول تنظيم نسائي في العالم ينال تلك الجائزة ، والوحيد حتى الآن فهل هذه الحقوق رجعية وصدرت من تنظيم رجعي محافظ ؟. الغريب في الأمر أن تلك الفئة من النساء السودانيات المنتميات لحركة انفيمنزم، لم يحققن للمرأة أي شي على أرض الواقع، ولا يعرفن عن المرأة السودانية في الأحياء الشعبيَة وفى الأقاليم أي شئ. ويكفى الاتحاد النسائي فخرا، أن الناظر بابو نمر، ناظر قبيلة المسيرية في غرب السودان،قد وجّه للاتحاد النسائي السوداني عبر فاطمة أحمد إبراهيم، رسالة في مذكراته التي ترجمها إلى اللغة الإنجليزية السيد فرانسيس دينق جاء فيها (قولوا لفاطمة أحمد إبراهيم لقد ساويت ليكم النساء في قبيلتي بالرجال).وأيضا العمدة سرور السافلاوى قد كرم فاطمة عند فوزها فى الانتخابات ومنحها وساما ذهبيا، وهذا تكريم للاتحاد النسائي . وأيضا السيد مادبو ناظر قبيلة الرزيقات، أرسل خصيصا لفاطمة لمقابلته عندما أتى إلى العاصمة في عام 1989 ، قبيل الانقلاب العسكري بقليل.معنى ذلك أن زعماء تلك القبائل السودانية العريقة ، ذات الوزن الوطني والسياسي الكبير، قد تجاوبت مع الاتحاد النسائي، واقتنعت بضرورة مساواة المرأة وهذا نصر وتاج على رأس الاتحاد النسائي قيادة وقاعدة لأن كل هذا من إنجازهن جميعا. وفاطمة نفسها لا تؤمن بالعبقريَة الفردية في العمل العام، ولا بأن اليد الواحدة يمكن أن تصفق .وما فاطمة إلا مجرد رمز من رموز الاتحاد النسائي القيادية . والغالبية الساحقة من قيادات الاتحاد النسائي شابة ، وبالمناسبة فان منصب القيادة لايمكن أن يناله أحد لمجرد رغبته الذاتية، فقط إلا إذا حاز على احترام الجمهور وتأييدهم.ولا يمكن أن يناله لأنه شاب وحسب. هذا وأما الفرق بين الحركة النسائية، وعلى رأسها الاتحاد النسائي، وبين حركة الفيمنزم أي الأنثوية،فإنه كبير وأساسي.بدأت الحركة النسائية في بلدان الغرب منذ القرن الثامن عشر تحت اسم (WOMEN MOVEMENT) وعندما سيطرت الأنظمة الرأسمالية على بلدان الغرب، غيرت اسمها إلى (FEMINIST MOVEMENT) أي حركة الأنثوية . والمعروف أن كلمة أنثى تقابلها كلمة ذكر. والأنثى والذكر تربط بينهما العلاقة العاطفية والاتصال الجنسي، وينتج عن ذلك التكاثر البشرى . أما المرأة والرجل،فإلى جانب نفس هذا الدور، فإن علاقتهما مرتبطة كذلك بتكوين المجتمع وتطويره ووضعهما فيه. وعليه فإن حركة الفيمنزم (الأنثوية) تركز على المرأة كأنثى، تركز على جمالها وجسدها وعلى علاقتها الجنسية بالرجل، وعلى القبل والإثارة الجنسية . وبدلا من تحريرها من الاضطهاد، حررتها من أكبر قدر من الملابس، أي حققت لها

السفور. وبدلا من مساواتها بالرجل في الحقوق وفى مواقع اتخاذ القرار، دفعتها للتشبه بالرجل في الزي وحلاقة الشعر وفى المشى وحتى في ممارسة العادات المضرة، التدخين واحتساء الخمر، وبالشذوذ الجنسي(اللزبيانز). وبرغم ذلك لم تمنح المسترجلات اجورا مساوية للرجل . والشذوذ الجنسي ضد الطبيعة وضد كل الأديان . وإليكم شعار تلك النظرية :

(IF FEMINISM IS THE THEORY LESBIANISM IS THE PRACTICE)-وترجمتها:- (إذا كانت الأنثوية هي النظرية فإن السحاق هو الممارسة). وإلى جانب ذلك حولت الرأسمالية المرأة إلى سلعة تستعملها في الدعايات التجارية، ومعارض الأزياء، ومسابقات الجمال، وأفلام الجنس . وبالرغم من أن الممارسات الجنسية كادت تقضى على الزواج الشرعي، إلا أن ظاهرة الاغتصاب، واغتصاب الأطفال أصبحت منتشرة ومستمرة، حتى أن الدول الغربية عقدت مؤتمرا ببلجيكا لمعالجتها قبل بضعة سنوات . وتأكيدا لكل ذلك، فقد رأيت بعيني خلال فترة التحاقي كباحثة بجامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس،بالولايات المتحدة في مدخل كلية دراسات الجنس (GENDER) (ولا يسمونها دراسات المرأة)، ثلاث لوحات ضخمة، واحدة لامرأة تقبل امرأة ، والثانية لرجل يقبل رجلا، والثالثة لرجل يقبل امرأة . معنى ذلك أن القبلة والجنس والشذوذ الجنسي هي شعار ومبادئ دراسات قضايا المرأة في تلك الجامعة الكبرى. والجدير بالذكر أن بروفيسور سوندرا هيل، هى عميدة تلك الكلية . فإذا كانت المرأة في أمريكا مضطهدة وغير متساوية مع الرجل في الحقوق، حسب إحصائيات الأمم المتحدة، أما كان الأجدر بسوندرا هيل أن تساعد المرأة في بلادها لتنال المساواة الحقيقية بدلا ما أن تسعى لنشر مبادئ الفيمنزم فى بلادنا، وفى المؤتمرات حول المرأة السودانية؟. ولكن لا لوم عليها وإنما اللوم على السودانيين والسودانيات الذين لا يعرفون عن المرأة في وطنهم ويرضخون لإرادة الممولين الأجانب، ويعانون في دواخلهم من عقدة (الخواجة)وبدون وضع اعتبار لقيمنا وأدياننا، الإسلام والمسيحية.

الاتحاد النسائي السوداني.